السنة الثامنة والخمسون بعد المئة

فيها انتقل المنصور إلى قصره المسمى بالخُلْد، وكان عند باب خراسان، ثمَّ اندرس فلا عين ولا أثر[١].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني ابن جهور قال: مررتُ [مع] علي بن هاشم الكوفي بالخُلْد، فوقف ينظرُ إلى تلك الآثار فقال: [من مجزوء الكامل]

بنوا وقالوا لا نموتُ ... وللخرابِ بنى المُبَنِّي
ما عاقلٌ فيما رأيتُ ... إلى الحياة بمطمئنِّ[٢]

وفيها سقط أبو جعفر عن دابته بجرجرايا[٣] فانشجَّ ما بين حاجبيه، وكان قد خرجَ معه ابنُه المهدي مشيِّعاً له إلى الموصل[٤]، فوقعَ عند عَوده.

وفيها أمر أبو جعفر ببناء قصر كسرى الذي بالمدائن ـ ويسمَّى القصر الأبيض ـ وأن يرمَّم، وقال: كلُّ من وجد في داره شيءٌ من الآجرِّ الخسروانيّ مما نقضَه من بناء الأكاسرة فليغرمه، قال: لأنَّ هذا من أموالِ المسلمين من الفيء، فمات المنصورُ ولم يتم ذلك.

وقال عمر بن شبة: وفيها سخطَ المنصور على محمد بن إبراهيم الإمام وهو أمير بمكة، قال: وسببُه أنَّ المنصور كتب إليه يأمرُه بحبسِ رجل من آل أبي طالب، وعبّاد ابن كثير، وسفيان الثوري، وابن جريج، ففعل، فلمَّا كان في بعض الليل أفكر فيهم، وبلغَه أنَّ أبا جعفر قد خرجَ من بغداد متوجِّهاً إلى مكّة في شوّال حاجًّا، وكان قد قلّد المهدي، وكان قد أحرم ونوى الحجَّ والعمرة، فلمَّا كان في الطريق أفكر محمد بن إبراهيم الإمام في الطالبيِّ وسفيان ومن حبسه وقال: لعلَّه يقتلُهم فأهلك عند الله، ثمَّ

(١) المنتظم ٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠١، وانظر تاريخ بغداد ١/ ٣٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٤٠٧، والمنتظم ٨/ ٢٠١.

(٣) في (خ): بجرجانا. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٧، والمنتظم ٨/ ١٩٧.

(٤) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٥٧، والمنتظم ٨/ ١٩٧: الرقة.

obeikandl.com

أرسل إليهم فأطلقَهم، وقال: إنَّه واصلٌ فاستتروا، وطلبَ منهم أن يحاللوه، ففعلوا ودعوا له، ولَمَّا قرب أبو جعفر من مكَّة بعث إليه محمد بن إبراهيم بألطاف وهدايا، فلمَّا أُخبِر بها المنصور أمرَ أن تضربَ وجوهها نحوَ مكَّة، ففعلوا، ولقيه محمد في بعضِ الطريق فسلَّم عليه، فلم يرد، وكان محمد يسير ناحيةً، فعُدِل بمحمل أبي جعفر عن الطريق إلى شعب، فنزل فبال فيه، ثم ركب ومحمدٌ واقفٌ ومعه طبيب، فقال له محمد: اذهب وانظر نجوه، فمضى الطبيب وعاد، وقال له: قد رأيتُ نجو رجلٍ لا يعيش إلَّا يسيراً، فماتَ بعد أيام، وسَلِم محمدٌ منه(١).

ذكر وصية أبي جعفر لابنه المهدي لما سار إلى مكة

وقد اختلفت الرواياتُ في ذلك، أمَّا الهيثمُ بن عديّ فإنَّه قال: شخصَ المنصورُ متوجِّهاً إلى مكَّة، فنزل بقصر عَبْدَويه، وأقام به ثلاثاً، وانقضَّ كوكبٌ عظيمٌ بعد إضاءة الفجر، وبقي أثرُه بيِّناً إلى طلوع الشمس، وذلك لثلاثٍ بقين من شوَّال. فكان مِمَّا أوصاه أنْ قال له: إنِّي سأوصيك، وما أظنُّك تفعلُ شيئاً منها، وكان لأبي جعفر سَفَطٌ فيه دفاتر، لا يأمنُ أحداً عليه، ومفتاحُه في كمه، فأعطاه للمهدي وقال له: احتفظ به، فإنَّ فيه علمَ آبائكَ، ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فإن حزبك أمرٌ فانظر في الدفتر الكبير، فإنْ أصبتَ ما تريد فيه، وإلا فالثاني والثالث، حتى بلغَ سبعة، فإن لم تصب، فالكراسة الصغيرة، فانظر فيها فإنَّك واجدٌ ما تريد فيها، وما أظنك تفعل.

وانظر إلى هذه المدينة فإياك أن تستبدل بها، فإن فيها عزَّك، وقد جمعت لك فيها من الأموال ما لو حُبس عنك الخراج عشرَ سنين كان عندك كفايةٌ لأرزاقِ الجند والنفقات وعطاء الذُّرِّيَّة ومصالح الثغور، فاحتفظ ببيوت الأموال، فإنَّك لا تزالُ عزيزاً ما دامَ بيتُ مالِك عامراً، وما أظنك تفعل.

وأوصيكَ بأهل بيتكَ أن تُظهر كرامتَهم وتقديمهم والإحسانَ إليهم، وتعظِّمَ أمرَهم، وتولِّيَهم المنابر، وتوطئ الناسَ أعقابهم، فإنَّ عزَّكَ عزُّهُم وذكرهم لك، وما أظنك تفعل.

(١) انظر تاريخ الطبري ٨/٥٨ ـ ٥٩.

وانظر أهل خراسان، فأحسن إليهم، فإنَّهم أنصارُك وشيعتُك الذين بذلُوا أموالَهم وأرواحَهم في دولتك، وأن تتجاوزَ عن مسيئهم، وتحسنَ إلى محسنهم، وتخلُفَ من مات منهم في أهله وولده، وما أظنك تفعل.

وإياك أن تبني مدينةَ الشرقيَّة فإنَّك لا تتمُّ بناءَها، وما أظنك تفعل.

وإياك أن تستعين برجلٍ من بني سُليم، وأظنك ستفعل.

وإياك أن تدخل النساء في أمرك ومشورتك، وأظنُّك ستفعل[١].

وهذه رواية الهيثم بن عدي، وأمَّا غيرُ الهيثم فقال: إنَّ أبا جعفر لَمَّا ودع ولدَه المهدي قال له: يا أبا عبد الله، إنِّي سائرٌ، وإنِّي غيرُ راجع، فأسألُ الله بركةَ ما أقدم عليه، هذا كتابُ وصيتي مختوم، فإذا بلغَك موتي فافتحه واقرأه، وعليَّ ثلاثُ مئة ألف درهم دين، ولست أستحلُّها[٢] من بيت المال، فاضمنهَا عنِّي، وما يفضي إليكَ من الأمر أعظمُ منها.

وذكر أبو يعقوب بن سليمان قال: حدَّثتني عطَّارةُ أبي جعفر قالت: لَمَّا عزمَ أبو جعفر على الحجِّ دعا ريطة بنت أخيه أبي العباس امرأة المهدي، وكان المهديُّ بالرَّيّ قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد، وسلم إليها مفاتح الخزائن، ولا يطَّلع عليها أحدٌ إلَّا المهدي ولا هي، حتَّى يصحَّ عندهم موتُه.

ومضى إلى الحجّ، وقدم المهديُّ من الرَّيّ، فأخبرته الخبرَ، فلمَّا ماتَ أبو جعفر، وولي المهديُّ الخلافة فتحَ ذلك الباب ومعه ريطة، وإذا أزجٌ[٣] عظيمٌ فيه جماعةٌ من آل أبي طالب قد قُتِلوا وفي آذانهم رقاعٌ فيها أسماؤهم وأنسابهم، وإذا فيهم أطفالٌ وشبابٌ ومشايخ، فلمَّا رأى المهديُّ ذلك ارتاع واسترجع، ثمَّ حفرَ لهم حفيرةً ودفنهم فيها، وبنى عليهم دكاناً[٤].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) تاريخ الطبري ٨/ ١٠٢ ـ ١٠٤.
(٢) في (خ): أتحملها. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٠٤.
(٣) الأزج: ضرب من الأبنية. القاموس (أزج).
(٤) تاريخ الطبري ٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

الباب الثالث في خلافة المهدي

واسمه محمد وكنيتُه أبو عبد الله. وقال الخطيب: وأمُّه أمُّ موسى بنت منصور بن عبد الله.

واختلفوا في مولده، فقال الخطيب: ولد سنة سبعٍ وعشرين ومئة[1]. وقال الهيثم: سنة تسعٍ وعشرين بالبلقاء بالحميمة، وقيل: سنة إحدى وعشرين ومئة.

وكلُّ من قام بالمغرب يسمِّي نفسَه المهدي.

ذكر صفته:

كان أسمرَ طوالاً أبيض حسن الوجه. وذكرَ أبو محمد بن حزم في كتاب «نقط العروس» وقال: كان المهديّ أعور[2].

قلت: وقد وهم ابن حزم، فإنَّ الخطيب قال: كان بعينِ محمد المهدي اليمنَى بياض[3]، لا يبصر به، وقال الهيثم: كان بعينه اليسرى نكتةُ بياض لا تظهرُ إلَّا لمن تأمَّله، لم تضره.

وفيها توفي

شيبان الراعي[4]

الزاهد العابد، وحجَّ مع سفيان الثوري.

وروى جدي عن أبي نعيم أنَّه قال بإسناده إلى محمد بن حمزة قال: كان شيبان إذا أجنبَ وليس عنده ماءٌ دعا ربَّه، فتجيء سحابة فتظلُّه فيغتسل منها، وكان يذهب إلى

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٢.

(٢) نقط العروس ٢/ ٧٧ (ضمن رسائل ابن حزم).

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٤.

(٤) المنتظم ٨/ ٢١٩، وترجمة شيبان في حلية الأولياء ٨/ ٣١٧.

وقال الصفدي في الوافي بالوفيات ١٦/ ٢٠١. توفي في حدود السبعين ومئة، فالله أعلم. وأورده الذهبي في تاريخ الإسلام ٤/ ٤١٠ في الطبقة السابعة عشرة. وقال: لا أعلم متى توفي، ولا من حمل عنه.

obeikandl.com

الجمعة فيخطُّ على غنمه خطاً، فيجيء فيجدها لم تتحرك.هذا صورة ما ذكره جدي في ترجمته.

قلت: وقد روي أن شيبان عاشَ إلى زمان ذي النون المصري، واجتمعَ به في جبل لبنان. وذكر المعافى بن زكريا أنَّه اجتمع بهارون الرشيد في الحج، فقال: حجَّ هارون، فقيل له: شيبان في الركب، فقال: اطلبوه، فأتوه به، فقال له: يا شيبان عظني، فقال: لأنْ تصحبَ أقواماً يخوفونَك حتَّى تبلغَ المأمن خيرٌ لك من أن تصحبَ أقواماً يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف، إنَّما أنت رجلٌ من هذه الأمة، استرعاك الله عليها، وقلَّدكَ أمورَها، وأنت مسؤول عنها، فاعدل فيها، واقسم بينها بالسويَّة، واتَّقِ الله في نفسك، هذا الذي يخوِّفُك، فإذا بلغتَ المأمن انتفعت[1] به، وإذا أمَّنوك قبل أن تبلغَ المخاوف عطبت. فبكى هارون حتى رحمَه من حوله.

وذكره الحافظ ابن عساكر[2]، فقال: كان شيبان من أكابر أهل دمشق، تركَ الدنيا، وخرج إلى جبل لبنان فانقطعَ به، وأكلَ المباحَ.

وصحبَ سفيان الثوريّ، فعرضَ لهما سبعٌ، فقال سفيان، أما ترى السبع؟ فقال شيبان: لا تخف غير الله، فلمَّا سمعَ السبعُ صوتَ شيبان جاء إلى بين يديه وبصبص، فأخذ بأذنه فعركها، وقال له: اذهب، فذهب، فقال له سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال شيبان: لولا مخافةُ الشهرةِ ما حملَ زادي إلى مكَّة على ظهره سواه.

وروى ابن ناصر قال: قرأ رجلٌ عند شيبان: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] فهام شيبان على وجهه سنةً، فلمَّا كان بعد سنة لقيه الرجل، فقال: يا شيبان، من أين؟ فقال: من ذاك الحساب الدقيق، وقرأ الآية[3].

---

(١) في صفة الصفوة ٤/ ٣٧٦ : أمنت.

(٢) ذكر ابن عساكر في تاريخه ٨/ ١٥٠ (مخطوط) شيبان المجنون وقال: أحد الزهاد، كان بجبل لبنان من جبال أطرابلس من ساحل دمشق، حكى عنه ذو النون المصري حكاية تقدمت في ترجمة سالم خادم ذي النون المصري (٧/ ٤٥). انتهى.

وذكر ابن حبان في الثقات ٦/ ٤٤٨ شيبان الراعي وقال: من عباد أهل مرو .

(٣) انظر صفة الصفوة ٤/ ٣٧٧.

وذكر أبو عبد الله بن خميس في كتاب «مناقب الأبرار» في ترجمة ذي النون المصري عن صاحبه سالم قال: بينما أنا مع ذي النون في جبل لبنان إذ قال لي: مكانك، يا سالم حتى أعود إليك، فغاب عنِّي في الجبل ثلاثةَ أيَّام، فلمَّا كان بعد ثلاثٍ رجعَ متغيِّر اللون، ذاهب العقل، فقلت له بعدما رجعَتْ نفسُه إليه: يا أبا الفيض، أعارضَك سبع؟ فقال: دعني من تخويف السباع، إنِّي غبت في هذا الجبل ثلاثةَ أيام، كلَّما هاجت النفس أطعمتُها من نبات الأرض، وسقيتُها من العيون، ثم إنِّي دخلتُ كهفاً من الكهوف فرأيتُ رجلاً أبيضَ الرأس واللحية، أشعث أغبر نحيفاً، كأنَّما نشر من قبر، وهو قائمٌ يصلِّي، فلمَّا سلَّم من صلاته سلَّمت عليه، فردَّ السلام، ثمَّ عاد إلى صلاته، فما زال يصلي إلى العصر، ثم استندَ إلى حجر هناك مقابل المحراب يسبِّح، فقلت له: رحمك الله، ادع لي دعوةً، فقال: آنسك الله بقربه، ثم سكت فقلت: زدني، فقال: من آنسَه الله بقربه أعطاه أربع خصال، عزًّا في [غير] عشيرة[1]، وعلماً من غير طلب، وغنًى من غير مال، وأُنساً من غير جماعة، ثم شهقَ شهقةً وغشيَ عليه، فلم يفق إلَّا بعد ثلاثة أيام حتى توهمتُ أنَّه قد مات، فلمَّا كان بعد ثلاث قام فتوضَّأ من عين هناك ثم قال: كم فاتني من الفرائض؟ قلت: صلاة ثلاثة أيَّام فقضاهن، ثم استند إلى الصخرة وقال:

إنَّ ذكرَ الحبيب هيَّج شوقي ... إنَّ حبَّ الحبيب أذهلَ عقلي

ثم بكى وقال: قد استوحشتُ من ملاقاة المخلوقين، وأنست بربِّ العالمين انصرف عني بسلام، فقلت: وقفتُ عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة منك، فقال: حب مولاك، ولا ترد بحبِّه بديلاً، فالمحبون لله هم تيجان العباد، وأعلام الزهاد، وهم أصفياء الله وأحباؤه، ثمَّ صرخ صرخة وسقطَ ميتاً، فبقيتُ متحيِّراً فيه، وإذا بجماعةٍ من العُبَّادِ منحدرين من الجبل، فتولَّوا أمره ودفنوه، فسألتُهم عنه فقالوا: هذا شيبان المصاب، قلت: فهل تعرفونَ من كلامه شيئاً، قالوا: كلمةً واحدة، كان إذا ضجرَ يقول: إذا بك لم أجن، يا حبيبي فبمن؟! فقلت: عميَ والله عليكم.

قلت: وبسفحِ لبنان بالبقاع قريةٌ يقال لها: قبر إلياس، قريبٌ منها قبرٌ يقال: إنَّه قبرُ شيبان الراعي. والله أعلم.

---

(١) ما بين حاصرتين من مناقب الأبرار ١/ ٩٩، وتاريخ دمشق ٧/ ٤٦ (مخطوط).

عبد الله بن محمد

ابن علي بن عبد الله بن عباس، أبو جعفر المنصور.

وقد ذكرنا سيرتَه متفرقةً في الكتاب، فنذكرُ ما وقعَ إلينا من أخبارِه وذكرِ طرف منها.

قال علماء السير: عن الربيع الحاجب قال: كان أبو جعفر يصلِّي الفجرَ، ثم يجلسُ فينظر في مصالح الرعية إلى الظهر، فيصلِّي، ثمَّ يقيل إلى العصر، ثم يجلس من وقت العصر إلى المغرب يقضي حوائجَهم، ثمَّ يصلِّي ويقرأ ما بين المغرب والعشاء الآخرة، ثمَّ يجلسُ مع سُمَّاره إلى ثلث الليل الأوَّل، ثم ينام الثلث الأوسط، ثم ينتبه فيصلِّي إلى الفجر، ثم يقرأ في المصحف حتى ترتفعَ الشمس، فيجلس للناس، وكان هذا دأبَه طولَ خلافته إلى أن توفي.

ذكر مذهب أبي جعفر في الغناء:

قال الصولي: إنَّ أبا جعفر لم يكن يظهر لندمائه بشربٍ ولا غناء، ولا رآهُ أحدٌ يشربُ غير الماء، وبينه وبين ندمائه ستارة، فإذا أعجبه غناءُ مغنٍّ قال: باركَ الله فيك، وما كان يعطي الندماء والمغنين من بيت المال. وقال الأصمعيّ: لم يكن يُسمَع في دار المنصورِ لهوٌ ولا غناء ولا لعب.

قال حماد التركي: كنتُ واقفاً على رأسه، إذ سمعَ صوت جلبة في الدار، فقال لي: انظر ما هذا؟ فنظرت، وإذا خادمٌ بيده طنبور، وقد جمعَ الجواري حولَه، وهو يلعب به، وهنَّ يضحكن منه، قال: فأخبرته فقال: وما الطنبور؟ قلت: ملهاةٌ تعمل بخراسان، فقال: خذه من يده، واضرب به رأسَ الخادم حتى تكسرَه على رأسه، ثمَّ اذهب بالخادم إلى السوق فبعه، قال: ففعلتُ ما أمرني به[1].

وهذا يدلُّ على أنَّه كان يكرهُ الغناء.

ذكر أخباره متفرقة:

حكى الهيثم بن عديّ قال: كان المنصور يبخلُ إلَّا في الطيب، فإنَّه كان يُغلِّفُ رأسه ولحيته في كل شهرٍ بألف مثقالٍ من أنواع الطيب، وكان يأمرُ أهله به.

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٦٣.

وقال سالم الأبرش[١] : كان المنصورُ من أحسن الناس خُلقاً ما لم يخرج إلى الناس، فإذا لبسَ ثيابه وجلس على سريره، تغيَّر لونُه، واربدَّ وجهه، واحمرَّت عيناه، وتغيرت صفاته، فسفكَ الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وكان يقول: إذا رأيتموني قد لبستُ ثيابي وجلستُ على سريري، فلا يدنونَّ مني أحدٌ منكم إليَّ لا أعره بشرّ[٢].

وقال عبد الصمد بن علي: خلوت يوماً بأبي جعفر المنصور، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، لقد لهجت بالعقوبة حتَّى كأنَّك لم تسمع بالعفو، فقال: لأنَّ بني أميَّة لم تبل رممهُم، وآل أبي طالب لم تسكن بعد سيوفُهم، ونحن بين قوم قد رأونا بالأمس سوقةً واليوم خلفاء، ولا تتمهَّدُ هيبتُنا في صدورهم إلَّا باطِّراح العفوِ وإكمال العقوبة.

وقال الزبير بن بكار: قال المنصور: الخليفةُ لا يصلحه إلَّا التقوى، والسلطان لا يصلحُه إلا الطاعة، والرعيَّةُ لا يصلحها إلَّا العدل[٣].

وروى المعافى بن زكريا عنه أنَّه قال للمهدي: لا تجلسْ مجلساً إلَّا ومعكَ رجلٌ من أهل العلم يحدِّثك، فإنَّ محمد بن شهاب الزهري قال: إنَّ الحديثَ ذكَرٌ لا يحبُّه إلَّا الذُّكور من الرجال، ويكرهه مؤنَّثهم. وصدق أخو بني زهرة.

قال: وكتبَ إلى عامله بالمدينة أن لا تبع الثمارَ التي في الأشجار إلَّا ممن نغلبه ولا يغلبنا، فأمَّا الذي يغلبُنا فهو المفلس الذي لا مال له، فيذهب مالنا قبله.

وقال محمد بن سلَّام الجمحي: قيل للمنصور: هل بقيَ من لذَّات الدنيا شيءٌ لم تنله؟ قال: نعم، خصلةٌ واحدة، أنْ أقعد على مصطبة، وحولي أصحابُ الحديث، فأملي عليهم، قال: فغدى عليه الندماء والوزراءُ بالمحابر والدفاتر، فقال: لستم هم، إنَّما هم أصحابُ الثياب الدنسة، المشققة أرجلُهم، الطويلة شعورُهم، الشعث الغبر، أصحاب الآثار ونقلةُ الحديث.

وقال محمد بن سليمان الهاشمي: دخلتُ على أبي جعفر وهو في بيتٍ صغير وعليه

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٣ : سلَّام الأبرش.

(٢) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٦٤ : فلا يدنون مني أحدٌ منكم، مخافة أن أعرَّه بشيء. وفي المنتظم ٧/ ٣٤٦ :... لئلا أغره بشر.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٤٧.

obeikandi.com

جُبَّةٌ هرويَّة مرقوعةٌ، فقال: هذا بيتي، وهذه جبَّتي، ليس لي غيرهما، قال: وتحته مِسْحٌ على باريَّة.

وبلغ أبا جعفر بن سليمان[١] فقال: الحمدُ لله الذي ابتلاه بفقر نفسه مع اتِّساع ملكه.

وحكى المدائنيُّ قال: ماتَ إسحاق بن مسلم من بثرةٍ خرجتْ في ظهره، فشيَّع أبو جعفر جنازَته، وحمل سريره، وصلى عليه، وجلس عند قبره، فقال له موسى بن كعب: أتفعلُ هذا وقد كان مبغضاً لك كارهاً لخلافتك، فقال: ما فعلت هذا إلَّا شكراً لله تعالى حيثُ قدَّمه أمامي، قال: أفلا أخبرُ أهل خراسان بهذا، فقد دخلتهم وَحْشةٌ؟ قال: بلى، فأخبرهم، فكبَّروا.

وحكى المدائني قال: نظرَ أبو جعفر إلى بعض القضاة وبين عينيه أثرُ السجود، فقال: لئن كنت أردتَ بهذا وجهَ الله، فما ينبغي لنا أن نشغلكَ عنه، وإنْ كنت إنَّما أردتنا به، فينبغي أن نحترزَ منك، وعزلَه.

وقال المدائني أيضاً: أتي أبو جعفر برجلٍ، فأمرَ بقتله، وعنده عمرو بن عبيد، فقال عمرو: حدثني الحسن البصري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادي غداً يوم القيامة منادٍ بين يدي الله تعالى: من كانت له يدٌ عند الله فليقم، فلا يقومن إلَّا من عفا». فقال له أبو جعفر: أنت سمعتَ هذا من الحسن، قال: نعم. فأطلقَه[٢].

ذكر وفاته:

واختلفوا في سببها على قولين:

أحدهما: أنه كان كثير الأكل ولا يستمرئُ طعاماً، ويشكو ذلك إلى الأطباء، و[يسألهم أن][٣] يعملوا له الجوارشنات برأيه لا برأيهم، وكانوا يأمرونه بتقليلِ

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٨١: محمد بن جعفر.

(٢) أورد الخبر الغزالي في الإحياء، وفيه: سوار بن عبد الله، بدل: عمرو بن عبيد. والخبر فيه عن الحسن مرسلاً.

وأخرج الحديث البيهقي في شعب الإيمان (٧٩٧٧) (طبعة مكتبة الرشد) من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً.

قال البيهقي: تفرد به عمر بن راشد.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٩، والمنتظم ٨/ ٢١٩.

الطعام، ويقولون: هذه الجوارشنات ضررُها أكثر من نفعها، وإنَّها تُحدِثُ من الأمراض ما لا يفيدُ معها دواء، وإنَّ علتها شديدة. وكان عنده طبيبٌ من الهند قد قدم عليه، فأمره أن يتخذ له سفوفاً لهضم الطعام، فيه الأفاويه والأدوية الحارَّة، فكان الهنديُّ ينهاه ويوافق أطباءه ولا ينتهي.

فقال بعض أطبائه: لا يموتُ هذا إلا بالبَطَن، فقيل له: ومن أين ذاك؟ قال: لأنَّه يأخذ الطعام كلَّ يوم ويتناول الجوارشنات الحارَّة فيهضم الطعام، ويهضم معه شيئاً من شحم بطنه ومصارينه ومعدته، فتخلو وترن[1] وتضعف عن حملِ ما حملَها، فيحدث له مرض البَطَن، ثم ضربَ لذلك مثلاً فقال: أرأيتَ لو أنَّك وضعتَ جرَّة على مرفع، والجرَّة جديدة وتحتها آجرة[2]، فقطرت عليها دائماً أليس تثقب الآجرَّة؟ قالوا: بلى، قال: فكذا هذا، فكان كما قال مات بالبَطَن.

والثاني: أنَّ أبا جعفر كان كثيرَ الركوبِ في الهواجر، وكان محروراً مع علو سنِّه، فغلبَ[3] عليه المرار الأحمر، فانخرق مزاجه، واتَّفق حجُّه في تلك السنة، وكان الحرُّ شديداً، فمرضَ بالحوف[4]، وكان قد تيقَّن أنَّه يموتُ في تلك السَّفرة؛ لأنَّه رأى أماراتِ ذلك.

حدثنا عبد الوهاب بن علي الصوفيّ بإسناده إلى أبي سهل الحاسب عن طيفور قال: كان سبب إحرامِ أبي جعفر من الكوفة للحج أنَّه نامَ ليلةً بمدينة السلام، ثمَّ انتبه فزعاً، ثم عاود النوم، ثم انتبه فزعاً، فعل ذلك ثلاثاً، ثم قال: يا ربيع، قد رأيتُ في منامي عجباً، كأنَّ آتياً أتاني فهينم بشيءٍ لم أفهمه، ثمَّ كرره حتى حفظتُه، قال: وما هو؟ قال: [من الطويل]

كأنِّي بهذا القصر قد بادَ آهلُهْ ... وعُرِّي منه أهلُه ومنازلُهْ
وصارَ رئيسُ القومِ من بعد بهجةٍ ... إلى جدثٍ تُبنى عليه جنادلُهْ

(١) كذا.
(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٠: ووضع تحتها آجرة جديدة.
(٣) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري: يغلب. وهو الأشبه.
(٤) كذا.

obeikandi.com

وما أحسبني إلَّا وقد دنت وفاتي، وحانَ أجلي، وما لي غير ربِّي، ثمَّ قام فاغتسلَ، وصلَّى ركعتين، وقال: قد عزمت على الحجّ، ثمَّ خرج ونحن معه حتى انتهى إلى الكوفة، فنزل النجف، وأمر بالرحيل بعد أيام، ثم قدَّم جنده وأثقاله، وبقيتُ أنا وهو في القصر، فقال: ائتني بفحمة، فأتيتُه بها، فكتب على الحائط شيئاً، وخرجَ فعدت إلى القصر كأنِّي أطلبُ شيئاً، وإذا به قد كتبَ على الحائط بالفحمة هذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

المرءُ يأملُ أنْ يعيـ ... ـش وطولُ عَيشٍ قد يضرُّهْ
تفنى بشاشتُه ويحـ ... ـدثُ بعد حلوِ العيش مرُّهْ
وتضرُّه الأيام حتـ ... ـتى ما يرى شيئاً يسرُّه[١]

وروى ابنُ الأنباريِّ أيضاً بإسناده عن أبي إسحاق الخُتَّلي[٢] قال: لما حجَّ المنصور في آخر عمره، نزلَ بعض المنازل، فرأى كتابةً على الحائط، فقرأها فإذا هي هذه الأبيات: [من الطويل]

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت ... سنوك وأمر الله لا بدَّ واقع
أبا جعفر هل كاهنٌ أو منجِّمٌ ... لك اليومَ عن حَرِّ المنيَّة دافعُ[٣]

وقد رواها الخطيب أيضاً عن الربيع، إلَّا أنه قال: خرجَ المنصور يتبرَّز، فقضى حاجته، فإذا الريح قد ألقت إليه ورقة فيها مكتوب البيت الأول. قال الربيع: فناداني: يا ربيع، نُعيتْ إليَّ نفسي في رقعة، فقلت: لا والله ما أعرف رقعةً، ولا أدري ما هي! فمات في وجهِه ذلك.

وقال سليمان بن أبي شيخ: حدَّثني أبي قال: خرجتُ مع المنصور حاجًّا في سنة ثمان وخمسين ومئة، فرأيتُ في منامي كأنَّ رأسَاً قد قُطِع، فسألتُ عديلي سعيد بن خالد فقال: الرأسُ أبو جعفر، وما أراه إلا سيموت عن قريب، فمات.

وقال أبو اليقظان: جلسَ المنصورُ يبولُ بطريق مكَّة، فألقت إليه الريحُ ورقةً فيها:

(١) انظر المنتظم ٨/ ٢٢٠.
(٢) المنتظم ٨/ ٢٢١. وفيه: الجيلي. بدل: الختلي.
(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٥٢.

[من الطويل]

أبا جعفر حانت وفاتُك وانقضت [سنوك] وأمرُ الله لا بدَّ نازلُ
أبا جعفرٍ هل كاهنٌ أو منجِّمٌ يردُّ قضاءَ الله أم أنتَ جاهلُ

فقال: بادروا بي إلى حَرم الله.

وقال الربيع: لَمَّا نزلَ بستان بني(١) عامر اشتدَّ وجعه فسارَ منه إلى بئر ميمون، فنزلَها، وكان قد أمر بنصبِ الخشب ليصلبَ عليها سفيانَ الثوريّ وعبَّادَ بن كثير وابنَ جريج.

قال جدي في «المنتظم» بإسناده: عن عبد الرزاق يقول: بعثَ أبو جعفر الخشَّابين حين خرج إلى مكَّة، وقال: إنْ رأيتم سفيان الثوريّ فاصلبوه، فجاء النجَّارون، ونصبوا الخشب، ونودي سفيان، وإذا رأسه في حجر الفضيل ورجلاه [في حجر] ابن عيينة، فقالوا له: يا عبد الله، اتَّقِ الله ولا تشمت بنا الأعداء، فقام إلى أستار الكعبة فأخذها، ثمَّ قال: برئتُ منه إن دخلَها أبو جعفر، فمات قبل أن يدخلَها، فأُخبر سفيان بموته فلم يقل شيئاً(٢).

وقال ابن البراء: فتوفِّي أبو جعفر ببئر ميمون لستٍّ خلونَ من ذي الحجَّة سنة ثمانٍ وخمسين ومئة(٣)، وذلك ليلةَ السبت مع طلوع الفجر، ولم يحضره عندَ وفاته إلَّا الربيع وخدمُه، وكتمَ الربيعُ موتَه، ومنعَ النساءَ وغيرهنَّ من البكاء عليه والصراخ، ثمَّ أصبح الربيع فأحضرَ أهلَ بيته، فأولُ من دعا عيسى بن موسى وعيسى بن علي وموسى بن المهدي، وأخذ عليهم البيعةَ للمهدي وبعده لعيسى بن موسى، ثمَّ دعا بالقوَّاد فبايعوا، وتوجَّه محمد بن سليمان والعباس بن محمد إلى مكَّة فأخذا البيعة للمهديِّ على الناس بين الركن والمقام، ثمَّ خرجا إلى بئر ميمون، وأخذا في جهاز المنصور وغسله وتكفينه ودفنه، وكان المتولِّي لذلك الربيع وأهلُ بيت المنصور ومواليه، ودُفن عندَ صلاة العصر، وكُشِفَ رأسُه لأجل الإحرام.

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٠ : بستان ابن عامر.
(٢) المنتظم ٨/ ٢٠٤. وما بين حاصرتين منه.
(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٥٣.

واختلفوا فيمن صلَّى عليه، فقال الواقدي: عيسى بن موسى، ونزل في قبره في شعب الخوز، وقيل: الذي صلَّى عليه إبراهيم بن محمد بن علي[١] كان المنصور قد أوصى بذلك، و[ذلك] أنَّه خليفته على الصلاة بدار السلام.

وروي أنَّ الربيع: قال لا يصلِّي عليه أحدٌ يطمعُ في الخلافة، فقدَّموا إبراهيم بن محمد، وقيل: إبراهيم بن يحيى، وهو يومئذٍ حَدَث، ودُفن عند ثنية المَعْلاة قريباً من كداء بأعلى مكة، ونزلَ في قبره عيسى بن موسى، وقيل: عيسى بن علي، والعباس بن محمد، والربيع والريّان مولياه، ويقطين بن موسى.

ويقال: إنَّ البغلةَ عثرت بين بستان بني عامر وبئر ميمون فسقطَ فمات.

وقال الطبري: ركب فرساً فلما صار في الوادي الذي يقال له: سَقَر، وكان آخر منزلٍ في طريق مكة، كبا به الفرس، فدُقَّ ظهرُه، فمات[٢].

وقال الصوليّ: دفن بين الحجون وبئر ميمون بمكانٍ يقال له: الحوري.

ويقال: إنَّه حُفِر له قبورٌ كثيرة، دُفن سرًّا في بعضها، وعموا آثارَ قبره خوفاً عليه من آل أبي طالب لئلَّا ينبشوه.

وقد أشارَ الطبريُّ إلى هذا فقال: وحُفر له مئةُ قبرٍ؛ لئلَّا يعرفَ موضعُ قبره، ودفن في غيرها خوفاً عليه.

واختلفوا في مبلغ سنِّه على أقوال: أحدها: أربعٌ وستون سنة، والثاني: خمس وستون سنة، والثالث: ثلاث وستون، والرابع: ثمان وستون.

وقد ذكرنا أنَّه ولد في سنة أربعٍ وتسعين، أو خمسٍ وتسعين، السنة التي مات فيها الحجاج.

واختلفوا في مدة خلافته بعد اتِّفاقهم على أنها كانت اثنتين وعشرين سنةً إلَّا أيَّاماً، وإنما اختلفوا في تلك الأيام، فقال هشام بن محمد: إلَّا أربعة وعشرين يوماً، وقال أبو معشر: إلَّا ثلاثة أيام، وقال الزُّبير بن بكَّار: إلا سبع ليالٍ، وقال الواقدي: إلَّا

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٦١: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي.
(٢) تاريخ الطبري ٨/ ١٠٧.

يومين[١].

وولي الخلافةَ في ذي الحجَّة.

ذكر ما ترك من المال:

قال الربيع: جمعَ ما لم يجمعه أحدٌ قبلَه، ترك ستّ مئة ألف ألف وستين ألف ألف درهم، وأربعة عشر ألف ألف دينار، وكان قد حُمل إليه من خزائنِ مروان اثنا عشر ألف عِدْلٍ خز، فأخرجَ ثوباً ففصله جبَّتين، له واحدة، ولمحمد المهدي واحدة، وترك من الخيل والبغال والدواب عشرةَ آلاف دابة، ومن الموالي خمسةَ آلاف، ومن الجواهر واليواقيت عدَّة صناديق، وغير ذلك.

قال المسعوديّ: ومع هذا فإنَّه كان ينظر فيما لا قيمة له، ولا ينظر فيه أحدٌ من العوام، اتَّفق مع صاحب مطبخه على أنْ يكونَ له الرؤوس والجلود والأكارع، وعلى الطباخ الحطبُ والتوابل[٢].

انتهت ترجمته.

❀ ❀ ❀ ❀

(١) هذا قول عمر بن شبة، وقال الواقدي: كانت ولاية أبي جعفر اثنتين وعشرين سنة إلا ستة أيام. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٢.

(٢) مروج الذهب ٦/ ٢٢٢.